بين الأدب والتاريخ

أبرز المعارك التي اشترك فيها القعقاع في العراق

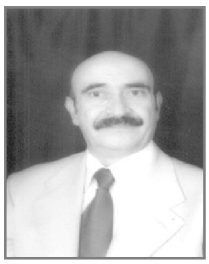

د. حسن محمد الربابعة

أستاذ أدب عباسي "مشارك"

قسم اللغة العربية – كلية الآداب

جامعة مؤتة - المملكة الأردنية الهاشمية

hasan_rabab3h@yahoo.com

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

حسن محمد الربابعة ، أبرز المعارك التي اشترك فيها القعقاع في العراق.- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني عشر ؛ يونيو ٢٠١١.ص ٤٥ – ٥٠.

(www.historicalkan.com)

مقدمة

اشترك القعقاع بن عمرو التميمي - رضي الله عنه- تحت إمرة خالد بن الوليد - رضي الله عنه- في ستِّ معاركَ رئيسة في فتوحات العراق ، كما تبيّنُها ثمانية نصوص من شعرِهِ ، محققة مشكولة من جهة ، ومعززة من أخرى ببعض الخرائط الموضحة ؛ لتبيين دوره في فتوحات العراق ، أما أبرز المعارك من شعره فهي: ذات السلاسل ، قرب كاظمة من دولة الكويت اليوم. وكاظمة وهي نفسها ذات السلاسل ، تعززها خريطة تبيّن خداع خالد لهرمز. والولَجَة ؛ وهي تسمى "الشطرة" اليوم "قرب واسط ؛ التي تتوسط الكوفة والبصرة ، وخرائط لموقعة المذار على نهر دجلة وإحاطة العدو في الولجة. ومعركة الحُصيد (غربي عين التمر من محافظة كربلاء اليوم) وكان القعقاع قائد المعركة ونائبا لخالد بن الوليد. والمصيَّخ وهي مصيخ بهراء تغلب وقد قتل المسلمون ممن كان في الجيب العميل من العرب النصارى ، منهم إياد والنمور وبنو تغلب كما في النص. وانتهت بمعركة الفِراض حيث انتصر السلمون على الروم والفرس والعرب النصارى واليهود فيها وكانت آخر معركة للقعقاع تحت إمرة خالد في العراق.

(١)

"من الطويل"

دور القعقاع في معركة ذات السلاسل تحت إمرة خالد سنة اثنتي عشرة للهجرة في فتوح العراق

منعْتُكَ من قرني قباذَ[١] وليتَني[٢] تركْتُكَ فاستَذكَت[٣] عليكَ المَقانِبُ[٤]
عَطَفْتُ عليكَ المُهْرَ حتَّى تَفرجَتْ وَمِلْتُ عن الطَّعْن الدَّراك الرّواجِب[٥]
أجالِدُهم والخَيل تَنْحِطُ[٦] في القنا وأنْتَ وحيدٌ قد حَوَتْكَ الكتائِب
وكائن هَزَمْنا من كتيبةِ قاهرٍ وقد عَجَمَتْنا في الحروبِ العجائِبُ

التخريج :

انفرد بذكرها ابنُ حُبيش : غزوات ابن حُبيش ج٤/ ص٣٩٧

يبرز القعقاع بن عمر التميمي . رضي الله عنه . ودوره في منعه هجومي قباذ وأنو شجان على خالد بن الوليد . رضي الله عنه . عند اشتداد التَّصاولِ بين خالد بن الوليد وهرمز قبيل بدء الهجوم في معركة ذات السلاسل ، وكانت الخيولُ تحيط بخالد وهو وحيد في الميدان ، فأحبط القعقاع المكيدة وقتل المتآمرين ، وأنقذ القعقاع بسيفه خالدًا ، بأن قتل المتآ مرين عليه للإيقاع به ، وتقع معركة ذات السلاسل في غربي كاظمة من أرض الكويت اليوم ، وسمِّيت بذات السلاسل لكثرة السلاسل التي قيِّدتْ بها جنَّد الفُرْس ، لمنعهم من الهزيمة ، ومنع الخيل من اقتحامهم ، ولتحويهم على الثبات ، أنظر تفاصيل المعركة وموقعها على خريطة عند كل من: (عبد الجبار السامرائي: معارك خالد بن الوليد جند الفُرْس ، دراسة تاريخية عسكرية الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٨ م ، ص٤٢. الجنرال أكرم الباكستاني: سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، دراسة عسكرية تاريخية عن معاركه ، ترجمه العميد الركن صبحي الجابي ، مؤسسه الرسالة ، بيروت ، ط٦٢ ، ١٩٨٨ ص ٤٤).

(٢)

" من الوافر"

وَجدَنَا المسلمينَ أعزَّ نصراً ... وخيرَ النّاسِ كلِّهم اقتدارا
دعانا هُرمُزٌ لمَّا التقينا ... على ماءِ الكواظِم[٧] فاستدارا
جَذَوْنا[٨] جَمْعَهُمْ حتى صَبحَنا ... فُراتَ البَصر[٩] موصلةٌ جِهارا

التخريج:

ابن حُبيش: غزوات ابن حُبيش ، ص ٣٩٩ وورد عند نو ي القيسي (غزونا) بدل " جذونا فرجّحنا الأصل.

تحليل النص:

ذكر القعقاع رضي الله عنه الكواظم مرتين في غير قطعة ، لأهمية هذه المعركة بين المسلمين والفُرْس أولاً ؛ ولأنها كانت الموقعة الأولى بين الطرفين ثانيا ؛ ولأنّ المسلمين انتصروا فيها ثالثاً ، هذا من جهة ، ومن أخرى فان القعقاع يحدّد اسم القائد هرمز الذي تحدّى خالداً للمبارزة فقتله خالد ، ومنع القعقاع الفرس من أن يغدروا بخالد رضي الله عنه ؛ وحدّد القعقاع حركة المسلمين إلى ماءِ الكواظم وهي شط العرب ، إذ حرَّض خالد بن الوليد جنده للاستبسال لأجله ، وقد لقوا من قله الماء في ذات السلاسل ما لقوا ، فأ غاثهم الخلق سبحانه بسحابه أغدرت ماءً ور اء صفوف المسلمين في صحراء كاظمه.

وشهد القعقاع نصرَ المسلمين على الفُرْس ، ومطاردتهم إلى أن وصلوا إلى ماء الفرات الذي يصبُّ في البصرة وهي التي تسمى " الأبُلَّة " أحد أبرز معاقل الفُرْس يوم ذاك. وقد أبرز الشعر مطاردة المسلمين للفرس ليلاً ؛ فما إن أ صح المسلمون إلا وهم على ماء الفرات "شط العرب" في البصرة ، وأقاموا على مواقع مياه بعد أنْ كانوا عطاشاً في صحراء كاظمة ، وأبرزَ الشعرُ مناورةَ هرمز قائد " ذات السلاسل" الذي حاول تطويق المسلمين ففشل بعد أن كان خالد أرهقه في حركات خداعية إلى الحُفير وخادعه إلى كاظمة ، فأجبرهم خالد على أن يسيروا مرهقين بسلاسلهم مسافة تقدر بسبعين كيلاً، ثم شن الهجوم عليهم ولم يمهلهم للاستراحة فانتصر عليهم ، انظر تفصيل ذلك عند: (عبد الجبار السامرائي: معارك خالد بن الوليد ضد الفُرْس ، خريطة ذات السلاسل ص ٤٢).

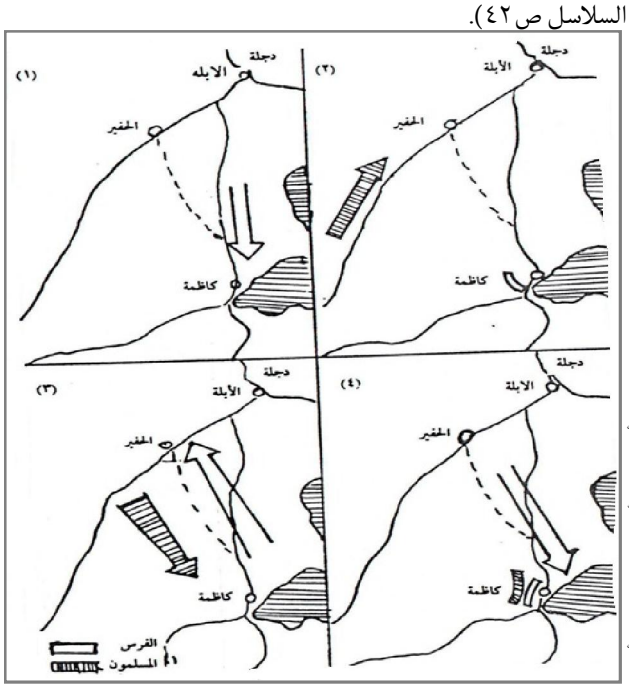

تظهر هذه الخريطة خدعة خالد بالمسير نحو الحفير فأوهم هرمز أن هجومه هناك ، فأرهق هرمز بحركته من كاظمه إلى الحفير والعودة إلى كاظمة ، وأجبره على القتال مباشرةً بسلاسله فانتصر عليه.

(٣)

" من الطويل "

*الحركة من الأبُلّة "شط العرب" - عبر الفرات - الوَلَجَة

ولمْ أرَ قوماً مِثلَ قَومٍ رأيتهُمْ على وَلَجات[١٠] البرِّ أحْمَى وأنْجبا
وأقتلَ للرُوّاسِ[١١] في كُل مَجْمَعٍ إذا ضَعضعَ الدَّهرُ الجُموعَ وكبكبا[١٢]
فَنحنُ حَبَسْنا بالزّمازمِ[١٣] بعدما أقاموا لنا في عَرْضةِ الدَّارِ تَرْتُبا[١٤]
قَتَلْناهُمُ ما بين قَلْعٍ[١٥] مُطْلَقٍ إلى القِيعة[١٦] الغبراءِ يوماً مُطْنِبا[١٧]

التخريج:

غزوات ابن حُبيش ، ص٤٠٥ ، وأنظر خبر الوَلَجَة عند الطبري ولا شعر للقعقاع في خبره ، ج٣ / ٢٥٢-٢٥٤.

ياقوت الحموي: معجم البلدان (الوَلَجَة ، بيت ١و٢) وعنده صعصع الدهر وأدرج الأبيات الأربعة هذه نوري حمودي القيسي ، ص ٣٠ ووقع في أخطاء نقليَّة وإملائية منها (الرَّواس) في البيت الثاني ، (وضغضع) بدل ضعضع و(تُرْتُبا) في البيت الثالث والصواب "تَرتُبا" بفتح التاء الأولى وضمّ الثانية.

المعنى العام:

يشهدُ القعقاعُ على ضراوةِ معركة الوَلَجَة (الشطرة) وشدّةِ وطيسها ، إذْ أزمع خالد بن الوليد بثاقب بصيرته الحربية المتميزة أن يلاقي جيش "الأندرزَغَر" في الوَلَجَة ، قبل أنْ يصلَ إليه جيشُ بهمن فيشكلا مزيداً من خطورة جيشين كبيرين عليه. لقد درس خالد أرض المعركة ، ووضع خطته ، وبثَّ عيونَه واستنهض رجالَه ، فأرض المعركة سهولٌ صحراوية ، تمتد بين هضبتين (يشير إليهما القعقاع في البيت الرابع) شرقية وغربية ، ترتفع الأولى عن الثانية (٣٠) ثلاثين قدماً ، وبينهما مسافة تقدَّر بميلين ، وثمَّةَ هضبة ثالثة من الجهة الشمالية الشرقية ، لأرض المعركة ، أرسل إليها خالدٌ فارسين هما بُسر بن أبي رهم وسعيد بن مُرة العجليّ ، ومع كلٍ منهما ألف فارس ، قبيل المعركة بليلة ، وأمرهما بالتخفية والتمويه ، واتفق خالد معهما على إشارة معيّنة ، يطلقها إليهما ، فينقضان بفرسانهما على الفُرْس من خَلفهم ، عندئذ بُحاطُ جيشُ "الأندرزَغَر" فيفاجأ جيش الفُرْس ويخسرُ المعركة ، واختفى فرسان المسلمين ، بانتظار إشارة خالد بن الوليد ، لبدء الهجوم. وتموضع جيشُ خالدٍ وظهرُهُ إلى الهضبة الشرقية ، وتموضعَ جيش "الأندرزَغَر" غرباً وظهرُه إلى الهضبة الغربية ، ودارت رحى معركة شديدة ، لم يستطعِ المسلمونَ اختراقَ صفوفِ الفُرْس لكثرتهم وشجاعتهم ، وقوة تسلّحهم ، حتى نالَ التَّعبُ من الطرفين وهو الذي يشير إليه الشاعرُ في (البيت الأول).

وقد نال التعبُ من المسلمين أكثرَ مما ناله من الفُرْس ، لأنَّ الفُرْسَ كانوا يبدِّلون المرهقَ منهم بغيره من احتياطهم لكثرتهم ، بعكسِ المسلمين لقلَّة عِددِهم ، وتراجعت صفوفُ المسلمين ، وانتظر المسلمون من قائدهم خالد حلاً فاصلاً ، وفي اللحظة الحاسمة ، أطلق خالد إشارةً متفقاً عليها لبدء الهجوم ، فانقضت كوكبتان من فرسان المسلمين ، على شكل فكي كماشة على الفُرْس من خلفهم ، وصيحات الله أكبر تدوّي من خلف الهضبة الغربية ، فطوقوا الفُرْسَ ، فنشطت

همةُ المسلمين ، فهجموا على الفُرْس من جديد ، وأوقعوا بهم خسائرَ كبيرة ، ولم ينجُ منهم إلاَّ القليل ، وانذعر "الأندرزغر" وولَّى هاربا في صحراء ، تاه فيها ، ومات عطشاً ، وانتهتِ المعركة الثالثةُ هذه حاسمة. ويتَّضح من شعر القعقاع كثرةُ حشود الفُرْس على برِّ الوَلَجَة ، وكثرة الخسائر ومقتلُ أبرزِ قادتهم "حضر مرد" على يد خالد في مبارزة ، وانذعر الأندرزغر ، ووّلى هارباً ، وهو الذي يشير إليه البيت الثاني ، وقلب خالدٌ جموعَهم المحتشدة هزيمةً كما يفاد من "كوكبا" وحدَّد الشاعر عدّوه الفارسي بدلالة "زمزم" صوت المجوس ، و أبرز عزيمَتهم على مصاولة المسلمين بأمر ثابت من قيادة الفُرْس بتوظيفه " ترتبا " ، كما حدّ د بحِ المعركة بين نهر الفرات والصحراء ، وحشودُ الفُرْس مطنبة لا ترى أقاصيها لكثرتها كما هو في لوحته الفنية التي يشهد عليها بقوله مفردا ولم (أر) وجمعا "حبسناهم وقتلناهم " في تطويق أولاً وقتلهم ثانياء، وانهزم بعضهم على سفن في نهر الفرات ؛ بدليل توظيفه القلع في هذه القطعة.

(٤)

"من الطويل"

يرثي القعقاع شهداء المسلمين ويعرض لبعض المعارك التي خاضوها في العراق

سقى اللهُ قتلى بالفُراتِ مقيمةً وأرى بأثباجِ[١٨] النّجافِ[١٦] الكوانِفِ[٢٠]
فنحنُ وَطِئْنا بالكَواظمِ هُرمزا وبالثّني[٢١] قرني قارنٍ[٢٢] بالجوارف[٢٣]
ويومَ أحطنا بالقصورِ تتابعتْ على الحيرةِ الروحاء[٢٤] إحدى المصارفِ[٢٥]
حططناهُم منها وقد كادَ عرشُهُمْ يميلُ بهم فعل الجبانِ المخالفِ
رَمينا عليهم بالقَبولِ وقد رأوَا غَبوقَ[٢١] المنايا حَوْلَ تلكَ المحارفِ[٢٧]
صبيحةَ قالوا نحنُ قومٌ تنزّلوا إلى الرّيفِ من أرضِ العُريبِ المقانِفِ[٢٨]

التخريج:

الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣٦٥/٢.

غزوات ابن حُبيش ، ص ٤١٧.

الحموي: ياقوت: معجم البلدان ذكر البيتين (الأول والثاني) فقط. مادة "الثَّني"

درس وتحليل:

تتضمَّنُ هذه القطعةُ مسيرةَ حربِ المسلمين ضدّ قواتِ الفُرْس في العراق في خمس معارك ؛ سنه اثنتي عشرة للهجرة ، فشملت ذِكْرَ معركة كاظمة "أم السلاسل" التي وقعت في الأسبوع الأول من المحّرم سنه ١٢ هـ والمَذار "الثني" التي انتهت في أول صفر من السنة نفسها ، ومعركة الوَلَجَة التي انتهت في الأسبوع الثالث من صفر السنة الثالثة عشرة ، ومعركة ألَّيس (السَّماوة اليوم) التي انتهت يوم ٢٥ صفر من السنة المذكورة ، ومعركة أمغيشيا — الحيرة التي انتهت في منتصف ربيع أول سنة ١٢ هـ ، وقد مثّل هرمزُ في الأولى ، وانهزم قائدًا جناحيه: قباذ و أنوشجان ، وفي المعركة الوَلَجَة (الشطرة حالياً) قُتِلَ حَضْر مرد في مبارزة مع خالد بن الوليد وانهزم الأندرزَغَر وفي معركة ألَّيس (نهر الدم) قتل أسرى الفُرْس ، وهرب جابان ، وفي الأخيرة صالحت الحيرةُ وسقطت قِلاعُها الأربع. أنظر: (الطبري: تاريخ الرسل والملوك سنه ١٢هـ ، وأنظر الجنرال أكرم الباكستاني: سيف الله ص ٢٩٢ الحاشية ، وأنظر الحموي: معجم البلدان مادة (الحيرة)، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ، أ حدث سنه ١٢هـ، وأنظر عبد الجبار السامرائي: معارك خالد بن الوليد ضد الفُرْس ، خارطة محرّرة للحيرة عزوة ص٨٩. وأنظر: محمود شيت خطَّاب "اللواء الركن" قادة فتح العراق والجزيرة ، ص٣٣).

وفي النص حضورُ القعقاع هذه المعارك الخمس ، واشتراكُهُ فيها بالَّسيف والرأي ، فسجّل انتصارات المسلمين على الفُرْس حوالي نهر دجلة أولاً ثم على مجرى نهر الفرات ثانياً. وفي النص وقفةٌ متأنيةٌ لاستسلام الحيرة ، وإبرازُهُ لإحاطةَ بقصورها وقلاعها الأربع ، التي أذعنت للمسلمين ، بعد أن رأت حولها المنايا صباح مساء ، وفي النص تصغير لشأن العرب الذين تعاونوا مع الفُرْس ضدّ المسلمين ، وكنّى عنهم بالمقانف ، وهم النصارى غير المختونين ، منهم عبد المسيح بن عمرو. فها هو[٢٩] يتحسّر على ماضي الفُرْس الذين قهروه ، من قبل:

أبعدَ المنذرين أرى سواماً ترَوّحُ بالخورنق والسدير ؟
فصِرْنا بعد هُلْكِ أبي قبيس كمثلِ الشّاةِ في اليوم المطيرِ

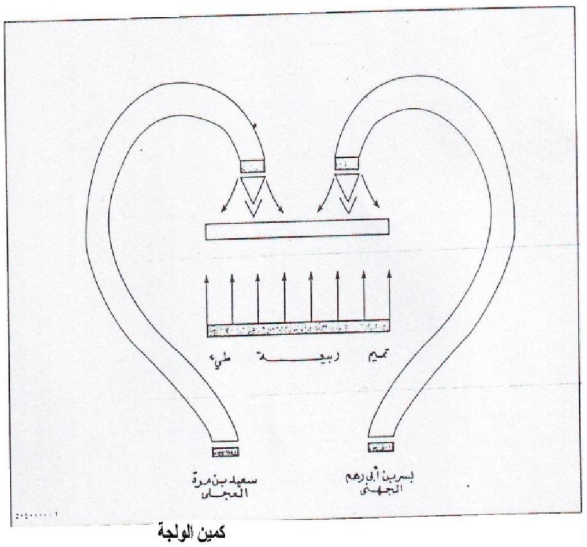

كمين الولجة

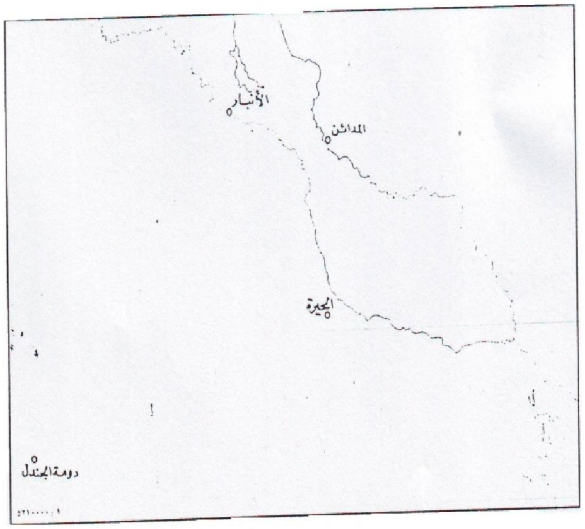

أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية 2005م، ص٣٧

(٥)

"الطويل"

يزهو القعقاع بانجازات المسلمين في العراق ويذكر معركة الحُصيد

ألَم ينهَ عَنّا غِيّ[٣٠] فارسَ إنّنا ... نَعْناهُمُ من ريفِهم بالصَّوارم
وإنّا أناسٌ قد نعُودُ خيلَنا ... لقاءَ الأعادي بالحُتوفِ الفواطِمِ
ورُوْزَ قتلنا حيثُ أُرْجِفَ خَدُّهُ ... وكُلَّ رئيسٍ زَازنا[٣١] بالعظائم
تركنا حُصيدا[٣٢] لا أنيسَ يَجُرُّهُ ... وقد شفيتْ أربابُهُ بالأعاجم
وانّي لراجٍ أنْ تلاقيْ جموعُهمُ ... غُدَيّا لِمحدى المنكراتِ الصّوارم
ألا أبلغاً أسماءَ[٣٣] أنّ خليلها ... قضى وَطَراً من رُوزَمِهرٍ الأعاجم
غداةَ صبحنا في حُصيدَ جموعَهم ... بهنديةٍ تفري فِ جَ الجماجم
ورُوْزَ[٣٤] أصابتْ بالمنايا فأوجعتْ ... سيوفُ بني عمروٍ بإحدى العظائم

التخريج:

غزوات ابن حُبيش ، ص ٤٣٤ — ٤٣٥

ياقوت الحموي: معجم البلدان ، البيتان (٦ ، و٧) مادة حُصيد ج ٢ /٣٠٧ ورد في " شعراء إسلاميون" ص٤٨ حيّ بدل غيّ في البيت الأول وهو تصحيف وخطأ ، وفي البيت السادس (حليها) والصواب (خليلها) وورد في البيت الأول "من ربعهم" والصواب من "ريفهم" وفارس بناها ليستقيم الوزن في البيت الأول ، ومن حقها تنوين الجر بالإضافة.

مناسبة القصيدة وتحليلها

لقد هجم القعقاع بلوائه على حُصيد ، فمنع تجمّعَ جيش الفُرْس ، في موقع واحد ، فشلّ حشدَهم في موقعة واحدة ، وهو انجاز تاريخي لمهمته رضي الله عنه إلى الحُصيد التي أنجزها ضد روزبه ومنع روزمهر من أن يتدخل لأنه موكل بالدفاع عن الخنافس التي أوكلها القعقاع — إلى زميلة القائد أبي ليلى عندما كان القعقاع يشغل نائباً عن خالد بن الوليد في الحيرة ، إبانَ حركة خالد إلى عين التمر لفتحها.

ويفهمُ من النصّ كما في البيت الأول أنّ القعقاعَ منعَ الفُرْس من القدوم إلى ريفهم بقوة السلاح ، ذلك أن "بهمن بن جاذوبه" ، نظّم جيشاً من بقايا الهزَبَة من معركة " ألَّيس" ومن المقاتلين الذين سُحبوا من حاميات الإمبراطورية الفارسية ، ومن قوات أخرى من العرب النصارى ، الذين ظلوا مخلصين للعرش الكسروي ، الحاقدين على انتصارات خالد عليهم في معارك متعددة ، ولقتله عدداً من زعمائهم خاصة عَقّه بن عَقّه ، كما رغبوا بإطلاق أسراهم من لدن جيوش المسلمين ؛ ولأخذ الثأر منهم بتآزرهم مع جيوش الفُرْس وبعد ذلك قسّم بهمنُ بن جاذويه قواته قسمين ؛ الأول بقيادة روزبه وحرّكه إلى الحُصيد ، والثاني بإمرة زرمهر وحرّكه إلى الخنافس ، فلما عاد خالد من عين التمر شكّل ثلاثة ألوية ، وسار إلى الفُرْس ليلاً فدهمهم وهم نيام وأعمل في الفُرْس رمحاً وسيفاً ، ومن ثلاثة محاور في بطاح المصّيخ ، فامتلأت بجثثهم وشبهت الوقعة بـ" مذبحة الغنم المصرّعة" وما إنْ بزغت شمس ذلك اليوم حتى لم يحس من الفرس عرق ينبض.

وفي البيت الأول يتضح دور القعقاع وأبي ليلى إذْ منعا اتصال جيشي الفُرْس ، إذ خُصّص القعقاع إلى حُصيد وأبو ليلى إلى الخنافس ، كما يشير البيت الأول ، وإلى قوة خيول المسلمين ، وحسن تدريبها ، وعليها فرسانُها يلاقون عدوّهم بموت قاطع ، في محمل بروز شخصية الجند المسلم بضمير الجمع " إنا " والمضارع "نعوّد" في البيت الثاني.

أمّا قائدُ الفُرْس "روزمهر" الذي قتله القعقاعُ نفسُهُ بسيفهِ ، في ميدان المعركة ، منصوبا بضمير الجمع على أدب القائد المتواضع و"روز" قتلنا " والفعل "راز" يسنده إلى ضمير الجمع المتكلم "نا" بعد أن "راز " روزمهر "فلقي مَصْرَعَهُ ، وارتجف خَدُّهُ ، مُعفراً في ساح الوغى. ويعرض البيت الرابع مشهداً لاسم الموقعة في " الحُصيد" التي قادها القعقاع نفسه فترك الفُرْس فيها حصيدًا ، فشفيت نفوس المسلمين ، وارتوت سيوفهم لكثرة ما أوقعوه من قتل فيها.

وفي البيت الخامس تبرزُ مَهمّةً جديدة يرجو القعقاع وقوعها هي تصغيره غداً " غُدّياً " بانتظار نتائجه المرتقبة ، وتقريباً للموعدة ، التي سيلقاها الفُرْس وإن غداً مُصغراً لموعده . قريب. ويحرص على تبليغ زوجه ؛ أسماء نتائج المعركة ودوره المسلمين فيها ، وأنّ زوجها القعقاع قد قتلَ "روزمهر" في المعركة ، ومثل هذه المباهاة جائزة بل مستحبة أمام زوجه ، موجها — أمره — على محمل الجملة الإنشائية الأمريَّة من جهة ، وعلى عادة شعراء الجاهلين ومن بعدهم في تحميل أوامرهم إلى مخاطبين أثنين ، لتبليغ الأمر. وقد وظف في هذا البيت أداة الاستفتاح "ألا" لمدِّ صوته في الفضاء الممتدِّ ، لإعلام زوجه ؛ بأنه قتل قائدي الفُرْس روزية و روز مهر على قراءة في شعره "روزني" ، أو قتل القعقاع روز مهر وقتل الثاني عصمةُ بن عبد الله الضبي.

وفي البيت السابع يحدّد زمان المعركة صباحاً ، ويكرّر الحُصيد ، ويدرجُ نوعَ السلاح من سيوف الهند ، ويختمه بنتيجة أنّه فرّى جماجمهم في ساح الحُصيد وفي البيت الأخير يعرضُ فيه شخصيته تتمدّح سيوف قومه وجنده من بني عمرو ، وقد أصابت " روز" بالمنايا ، وأسلمته وقومه إلى إحدى عظائم النتائج وهي الهزيمة المنكرة بقوة السلاح.

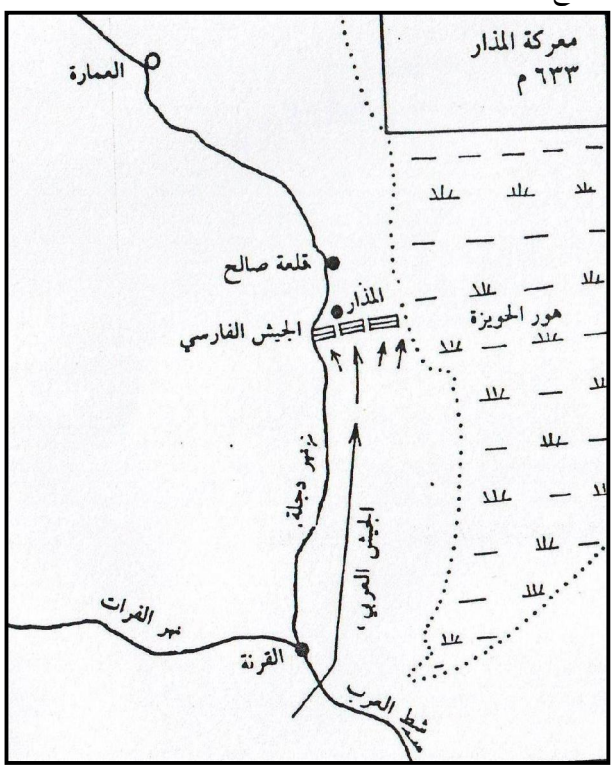

(٦)

"من الطويل"

سائلْ بنا يومَ لمُصَيَّخ[٣٥] تغلبا[٣٦] ... وهل عالمٌ شيْئاً وآخرُ جاهِلُ
طَرَقْناهُمُ فيها طُروقاً فأصبحوا ... أحاديثَ في أفناءِ تلكِ القبائلِ
وفيهم إيادٌ والنُّمورُ وكُلَّهُمْ ... أصاخَ لما قد عَزَّهُمْ للزلازلِ

التخريج:
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة " المصّيخ " ج٥ /١٦٨

إضاءة النص:
اتخذ خالد بن الوليد رضي الله عنه تشكليةَ الحربِ ، فشنَّ هجومٌ من ثلاثة محاور على جيب عميل من بني تغلب النصارى ، فقضى عليهم ، كان القادة ثلاثة هم خالد بن الوليد والقعقاع وأبو ليلى فسبى خالد وغنم ، وبعث الخمس إلى الصدّيق رضي الله عنه مع النُّعمان بن عوف ، فاشترى عليُّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه بنتَ ربيعة بن بجيرا التغلبيّ فولدت له عمرَ ورقية. وسار خالد بعد نصره هذا إلى محور البِشر – الثَّني – الرُّضاب ، وفتحها. إذْ لم يجد خالد في الثالثة منها كيداً لأنَّ جموعَ النَّصارى من بني تغلب الذين أجمعوا لمقاتلة خالد بقيادة زعيمهم هلال بن عقبة ، الثائرِ لمقتل أبيه بسيف خالد من قبل ، قد تفرقوا عنه. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ). وفي القطعة ذكر لقبائل عربية نصراني احتشدت لقتال المسلمين ، لكنَّ المسلمين انتصروا عليهم. كما يشهُد به البيت الثالث ، وفي البيت الأوَّل إقواء ولعَّله أن يكون (كآخر جاهل).

(٧)

"من الوافر"

لقينا بالفِراضِ[٣٧] جُموعَ رُوْمٍ ... وفُرْسٍ[٣٨] عَمَّها طُوْلُ السَّلامِ
أَبَدْنا جَمْعَهُمْ لماّ التقينا ... وبيّتنا بِجَمْعِ بَني رزام
فما فَتِئَتْ جُنُوْدُ السَّلْمِ حَتّى ... رأينا القومَ كالغنمِ السَّوامِ

التخريج:
ياقوت الحموي: معجم البلدان (فراض) ج٤/٢٧٧.

إضاءة النص وتحليله:
لقد تردّدَ الرُّوْم والفُرْسُ ومعهم بنو رزام من نصارى العرب ، في الهجوم على المسلمين بداية ، ولكنهم عبروا الفرات إلى خالد بن الوليد أخيراً ، فأصدر خالد بن الوليد أوامرَهُ للمسلمين ، بأن يُلحِّوا عليهم ، ولا يرفهوا ، فحشرهم المسلمون ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ؛ يذكر الحموي أنّ خسائرهم بلغت مائة ألف كما في "فراض". لقد شهدَ القعقاعُ هذه المعركةَ ، فشهد بحشد الفُرْس والرُّوْم وعرب بني رزام المشترك ضّد المسلمين ، وحدّد الفِراض مكان تحشد واشتباك ، وصوّر مصارعَ العدوّ وخسائرَهم وحالَهم بين قتلى وَهَرَبة مذعورين ، كأنهم الغنمُ الهائمة المرعوبة دون راعٍ ، وقد بلغتْ خسائرُهم مائة ألف. لقد انتهت هذه المعركة في الخامس عشر من ذي القعدة سنه (١٢) اثنتي عشرة للهجرة الموافق للحادي والعشرين من كانون الثاني عام ٦٣٤م.[٣٩]

(٨)

"من الوافر"

تعاون الروم والفرس والعرب النصارى واليهود على المسلمين في القراض فهزمهم المسلمون، والفراض آخر معارك القعقاع بإمرة خالد في العراق

ألمْ تَسْمَعَ بمعركةِ اليهودِ ... غداةَ الرُّوْم حافلة الجُنودِ
غداةَ الرُّوْم صرعى في ثيابٍ ... تشبَّهها القبائلُ من ثمود[٤٠]
تجاذبَ هامَها فُرسٌ وُرُوْمٌ ... وأوباشٌ[٤١] من الأَمِمِ الرّقودِ
نصارى ليس بينهمُ رشيدٌ ... وأخرى من ضواكعة[٤٢] اليهودِ
وباقي تـغلبٍ وبني إيادٍ ... وحيٍّ النمر ، رهطِ أبي كنود[٤٣]

التخريج:
غزوات ابن حُبيش ، ص ٤٤٢ ، وردت أخطاء إملائية عند نوري حمودي القيسي في كتابه "شعراء إسلاميون" ص ص ٣٣-٢٤ ، في هذه القطعة منها "الهبود" بدل اليهود في البيت الأول ، وفي البيت الثالث "تجاوب عاصماً" والصحيح عند ابن حُبيش ، مرجعه هو "تجاذب هامَها" ، وفي البيت الثالث "ضوالعه" ، والصحيح "ضواكعة" كما هو في المصدر نفسه.

إضاءة على النص:
يتحدّثُ الشاعر للمرة الثانية عن وقعة (الفِراض) لأهميتها ، موجهاً خطابه إلى متلقٍ لِيُعْلِمَهُ نبأ تِلكَ المعركة ، ويحدّدُ قواتِ العدوّ المتحالفة معها من يهود وروم وفرس وعرب أوباش ضدّ المسلمين في تلك المعركة ، وقد وصف النصارى بالسَّفه ، إذ ليس فيهم رشيد ؛ لما نعلمه من عداوة مستسرّة بينهما ، وكيف يتفقان على حرب المسلمين ؟ كما يصف أجساداً لليهود مضوكعة (مرهرطة) لا تقوى على شدّة الوغى ، وهي على ضعفها ، تؤيد جموع العدو ضِدَّ المسلمين ، كما أَيَّدتهم بواقي من قبيلة تغلب النصرانية وغيرها من بني إياد وهي النمر ، فخذلهم الله وهزمهم خالد بن الوليد بعد أنْ تركَ ساحة الحرب ، ملأى بالقتلى كأن لم تغنَ بالأمس كثمود البائدة.

الخاتمة

بينت الدراسة دور شعر القعقاع بن عمرو التميمي - رضي الله عنه- في تجلية فتوحات العراق بإمرة خالد بن الوليد - رضي الله عنه- من خلال ثمانية نصوص أدبية قالها شاهد العيان بعينيه وبحسامه ، وقد حقق الباحث النصوص الأدبية وصوَّبها واستعان بالخرائط العسكرية لتجلية حركة المسلمين في العراق تحت قيادة خالد بن الوليد "رضي الله عنه".

الهوامش:

(١) قرني: هجوم قائدي الفُرْس قباذ وانو شجان ، وكان هرمز ادَّخرهما للغدر بخالد بن الوليد بعد اصطراع خالد وهرمز في معركة ذات السلاسل فما كان من القعقاع الذي لا يهزم جيش فيه إلاَّ أن تصدّى لجنود المؤامرة تمَّ تصدّى لقائدي جناحي الفُرْس فيما بعد وهزمهما ، كان ذلك سنه (١٢) هـ اثنتي عشرة.

(٢) ليتني: يتمنى القعقاع في لحظة عتابه على خالد ؛ أنه لم يكن أنقذه في تلك الموقعة من غدر الفُرْس ، ولا نحسبه ندماً ، بل هو لحظة من عتابه عليه ، تفاصيل ذلك في: غزوات ابن حُبيش ، ج٣٩٧/٢.

(٣) استذكت: اشتدت واستعلت (ابن منظور أبو المكارم: لسان العرب المحيط ، إعداد عبد الله العلايلي ، دار لسان العرب ، بيروت ، مادة ذكي).

(٤) المقانب من الخيل هي ما بين ٣٠- ٤٠ فرساً وقيل (٣٠٠) ثلاثمائة فرس (ابن منظور :لسان العرب المحيط: قنب).

(٥) الرواجب: مفاصل أصول الأصابع التي تلي الأنامل (لسان العرب: رجب).

(٦) تَنحِطُ: تزفر(لسان العرب :نخط).

(٧) ماء الكواظم: كاظمة وهي غربي الكويت اليوم وفيها كانت معركة "ذات السلاسل" التي وقعت في الأسبوع الأول من المحرم سنه ١٢هـ / ١٧ نيسان ٦٣٢م واستمرت ثماني ساعات.

(٨) جذونا جمعهم: بمعنى لازمناه (غزوات ابن حُبيش : الحاشية ص ٢٩٩).

(٩) فرات البصرة: نهر الفرات قبل أن يلتقي بدجلة قرب الأبله (خريطة ذات السلاسل تشير).

(١٠) الولجات: جمع وَلجة وهي تسمى الشطرة اليوم وتقع الوَلَجَة قرب مدينة واسط (محمد أمين الميداني: القعقاع بن عمرو ، فارس بني تميم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨م ص ٢٦. وفي الخريطة التي أعتمدها كلّ من الجنرال أكرم الباكستاني: سيف الله ، وقع خطأ إملائي في الوَلَجَة فوردت عنده (الوجة) كما وردت عند الجنرال الباكستاني من قبل على خريطة رقم ٢٤٢ تشير.

(١١) الرّواس: القادة الرؤساء ، إذ جند ل خالد بن الوليد "حضر مرد" الذي كان ألف رجل (عبد الجبار السامرائي ، معارك خالد بن الوليد ص٦٦).

(١٢) كبكب: قلب وقتل (لسان العرب: كبب).

(١٣) الزمازم: صوت المجوس (لسان العرب: زمزم)

(١٤) تَرتُب: الأمر الثابت (لسان العرب: ترتب)

(١٥) القلع: السفن (لسان العرب: قلع)

(١٦) القبعة: الفلاة (لسان العرب: قبع)

(١٧) الطُنب: أقام فيه وعسكر ، لا يرى أقصاه لكثرته (لسان العرب: طنب)

(١٨) أثباج: جمع ثبج وهو الوسط (الزَّمخشري: أساس البلاغة ، تحقيق عمر عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة.

(١٩) النجاف: جمع نجف وهو محفور في جوانبه موسع الجوف (الزَّمخشري: أساس البلاغة " نجف ") .

(٢٠) الكوانف: جمع كنف وهو الناحية (الزَّمخشري: أساس البلاغة "كنف").

(٢١) الثني: هو نهر الفرات بالقرب من واسط بين الفرات والبصرة مسيرة أربعة أيام والمذار شمالي البصرة وعلى ثمانية كيلو مترات شرقي قلعة صالح (عبد الجبار السامرائي: معارك خالد ص٥٩).

(٢٢) قارن: هو ابن قربانس قائد معركة الثني ، وأحد أكبر قادة الفُرْس ، كانت مهمته تدمير القوات الإسلامية في الأبله وتعزيز هرمز ، ووصل إلى نهر مكيل المتصل بدجلة وفشل في النجدة (الجنرال أكرم: سيف الله ص٢٦٣).

(٢٣) الجوارف: جمع جارف وهو ما أكل السَّيل من أسفل شق الوادي والنهر (ابن منظور: لسان العرب "جرف). وقرني قارن هي قائدا الجناحين الأيمن والأيسر ، وسيلتا دفاع وهجوم للفرس كقرني الحيوان ، وقد قتل قائدا الفُرْس في معركة المذار وهما قارن الذي قتله معقل بن الأعشى ، وأنو شجان الذي قتلة عاصم بن عمرو التميمي ، وقتل عدي بن حاتم قباذ الفارسي قائد الجناح الفارسي في أول صفر سنه ١٢ هـ ، أنظر: (الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م \ سنة(١٢ هـ)وبعض المؤرخين قال إن قاتل قارن هو خالد بن الوليد رضي الله عنه في مبارزة.

(٢٤) الحيرة الروحاء: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة قرب النجف ، والرَّوحاء لريحها الطيبة (الحموي: معجم البلدان ، قادة الحيرة ، ومحمود ، شيت ، قادة فتح العراق والجزيرة دار الفكر ط٢ (فريدة ومنقحة)، ط٣، ١٩٧٧ م ص ٣٣ (الحاشية).

(٢٥) المصارف: جمع مصرف وهو التغلب والحيلة ، كان شأن حكامها العرب مع الفُرْس (ابن منظور: لسان العرب "صرف".

(٢٦) غبوق: شرب العشى (ابن منظور: لسان العرب "غبق")

(٢٧) المحارف: النواحي ، جمع حرف ، وهي الناحية (ابن منظور: لسان العرب "حرف")

(٢٨) المقانف: النصاري غير المختونين (لسان العرب: قذف).

(٢٩) عبد الجبار السامرائي: معارك خالد ضد الفُرْس ، ص٩١. الحاشية وفي النص رثاء للشهداء الذين قضوا على أكناف نهري دجلة والفرات وهم يجاهدون الفُرْس ، وقد قضي منهم الآلاف رضي الله عنهم.

(٣٠) غيّ: ضلال (لسان العرب: غيي)

(٣١) راز: جَرب (لسان العرب: روز).

(٣٢) حصيد: بفتح الحاء وكسر الصاد موضع بأطراف من الجزيرة العربية ، تقع غربي عين التمر في محافظة كربلاء اليوم (الحموي: معجم البلدان ، ج٢٦٦/٢ ، وعبد الجبّار السامرائي: معارك خالد بن الوليد ضّد الفُرْس ، ص١١٥ ، وبعضهم يُصغرها إلى " حُصيد" وأنظر موقعها على خريطة الجنرال أكرم الباكستاني سيف الله ، ص٣١٩ (مرفقة)وتقع الخنافس إلى الشمال الغربي منها.

(٣٣) أسماء: اسم زوج القعقاع.

(٣٤) روز: هو مختصر من روزمهر أحد ابرز قادة الفُرْس ، كان واجبه الدفاع عن الحُصيد ، فهاجمه القعقاع وقتله (غزوات ابن حُبيش ص٤٣٤).

(٣٥) المصّيخ: بضم الميم وفتح الصاد المهلة وياء مشددة تقع بين حورانَ والقلت (ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٥/ ١٦٨ "وهناك مصيّع أخرى تُسّمى مصّيخ بهراء ذكرها القعقاع في شعرة أثناء حركة جيش خالد من العراق إلى الشام سأشير إليها فيما بعد(المصدر نفسه ج١٦٩/٥).

(٣٦) تغلب: قبيلة تغلب بن وائل قبيلة عظيمة ، مساكِنها بالجزيرة الفُراتيّة بجهات سنجار ونصيبين وتعرف بالجزيرة الفراتية ، حاربت المسلمين سنة (١٢) هـ فحميت الرُّوْم واغتاظت فاستعانوا بمسالح الفُرْس على المسلمين (كحّالة ، عمر رضا: معجم قبائل العرب ،- القديمة والحديثة — مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٢-١٩٩١ ج١/ ١٢٠-١٢٣).

(٣٧) الفِراض: بكسر الفاء جمع الفُرضه مثل برمة وبرم وصحبه وصحاب وهي المشرعةُ والأصل في الفرضة الثلمة في النهر ، والفراض هي تخوم (حدود) الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات ، والفراض هي منطقة بين عَنّة البوكال حالياً ولعلها مدينة القائم التي كانت تُسمى حُصيبة ، وسميت بالفراض لأنها مورد استقاء من نهر الفرات ؛ أنظر. (الحموي: معجم البلدان ، (فراض)، ج٢٧٧/٤-٢٧٨) و(عبد الجبار السامرائي: معارك خالد بن الوليد ضد الفُرْس ، ص١٢٩).

(٣٨) اجتمع الرُّوْم والفُرْس ومعهم عرب نصارى من بني تغلب وإياد والنمر ، وتألبوا على المسلمين ، وكانت حامية كبيرة للفرس عند الفراض (القائم) تقف مواجهة للرّوم ، فتألّبَ الرُّوْم والفُرْس على عداوتهما ضّد المسلمين ، على من قال (عدوّ عدوّ صديقي) فما كان من خالد الوليد إلاّ أن أحتشد جنوبي الفراض ، وانتظر هجوم أعدائه من فرس وروم ، ليتمكن منهم مدافعًاً.

(٣٩) (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٢٥١/٢ والجنرال أكرم: سيف الله ص ٣٢٦-٣٢٧).

(٤٠) ثمود: قبيلة من العرب البائدة ، اشتهرت باسم أبيها ، كانت مساكنهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشـام. كحالّه ، عمر رضا: معجم قبائل العرب ،ج١٥٢/١-١٥٣). وأراد الشاعر أنّ مصيرهم كان كمصير ثمود في الإبادة.

(٤١) أوباش: جمع وَبش وهم الأخلاط من الناس الأردياء ، وهو الرّقط من الجرب يتفشى في جلد البعير ، ويقال جمل وبش يعني به جَرَب ، وهو جمع مقلوب من البوش (لسان العرب :وبش) فحملت أوباش معنى أخلاط من العرب النصارى شكلوا مع جيشي الرُّوْم والفُرْس جرباً في أجسادهم وتفشّى فيهم فأقذرهم.

(٤٢) ضواكعة ؛ جمع ضوكعة وهو الرّجل الأحمق ،كثير اللحم مع ثقل ؛ وقيل المسترخي القوائم في ثقل (لسان العرب: ضكع)

(٤٣) كنود: كافر النعمة (لسان العرب: كند).